عَمَّار صَاحِبُ الحِمَار

تأليف : أحمد الكشراوي
محمود بوعولي
تصوير : محمد الحاج سعيد



نشر الشركة التونسية للتوزيع

تأليف : أحمد الكسراوي
محمود بوحولة
تصوير : محمد الحاج سعيد

عمّار صاحب الحمار

نشر
الشركة التونسية للتوزيع

عَمَّارٌ وَلَدٌ يَنْقُصُهُ ٱلذَّكَاءُ وَتُعْوِزُهُ ٱلْحِيلَةُ فَهُوَ يُودِعُ ثِقَتَهُ كُلَّ ٱلنَّاسِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ طَيِّبُ ٱلْقَلْبِ حَسَنُ ٱلسَّرِيرَةِ ... وَلَكِنَّ أُمَّهُ لَمْ تَرَ فِيهِ وَلَداً نَافِعًا لَهَا تَسْتَطِيعُ ٱلِاعْتِمَادَ عَلَيْهِ فِي إِعَالَتِهَا أَوْ إِعَالَةِ نَفْسِهِ عَلَى ٱلْأَقَلِّ ... إِذْ كُلَّمَا قَصَدَ إِلَى عَمَلٍ أَوْ وَجَّهَتْهُ أُمُّهُ لِقَضَاءِ مَآرِبٍ فَشِلَ فِيهِ حَتْمًا «فَأَيْنَمَا تُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ» ! ... فَضَاقَتْ بِهِ وَبِسَذَاجَتِهِ ذَرْعًا وَٱسْتَشَاطَتْ عَلَيْهِ غَضَبًا

وَفِي أَحَدِ ٱلْأَيَّامِ أَرَادَتْ أَنْ تَحْسِمَ أَمْرَ فَشَلِهِ فَخَاطَبَتْهُ قَائِلَةً

ـ ٱسْمَعْ يَا عَمَّارُ ... إِنَّنِي غَيْرُ مُسْتَعِدَّةٍ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ لِتَحَمُّلِ غَبَاوَتِكَ وَحُمْقِكَ ... وَسَأَضَعُكَ أَمَامَ مَسْؤُولِيَّتِكَ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمِلَ أَعْبَاءَ نَفْسِكَ فَتَشْرَعُ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلَّذِي يَعُودُ عَلَيْكَ بِالنَّفْعِ وَتَتَخَلَّى عَنْ هَذِهِ ٱلْغَفْلَةِ ٱلَّتِي تُلاَزِمُكَ كَظِلِّكَ وَجَعَلَتْكَ عُرْضَةً لِٱسْتِغْلاَلِ ٱلنَّاسِ وَسُخْرِيَتِهِمْ ... وَهَا أَنِّي قَدِ ٱشْتَرَيْتُ لَكَ حِمَاراً ... فَخُذْهُ وَٱسْتَعْمِلْهُ فِي مَا يَعُودُ عَلَيْكَ بِالرِّبْحِ ... وَإِيَّاكَ أَنْ تُفَرِّطَ فِيهِ أَوْ أَنْ يَسْتَغْفِلَكَ أَحَدٌ فَيَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِ وَلَوْ فَقَدْتَهُ فَسَوْفَ أَكُونُ فِي حِلٍّ مِنْ أَمْرِكَ وَأَقْطَعُ كُلَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ...



فَرَكِبَ ٱلْحِمَارَ وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ مُفَكِّراً فِي ٱسْتِغْلاَلِ حِمَارِهِ فِي عَمَلٍ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ... فَمَرَّ بِمَنْزِلٍ ٱعْتَزَمَ صَاحِبُهُ ٱلرَّحِيلَ وَنَقْلَ أَثَاثِهِ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ فَنَادَاهُ قَائِلاً :

- يَا صَاحِبَ ٱلْحِمَارِ هَلْ لَكَ أَنْ تُعِينَنِـي عَلَى نَقْلِ بَعْضِ ٱلْأَدْبَاشِ إِلَى «سَاحَةِ ٱلْبَطِّ» عَلَى أَنْ أَدْفَعَ لَكَ رُبُعَ رِيَالٍ عَنْ كُلِّ حِمْلٍ ...

فَقَبِلَ عَمَّارٌ بِفَرَحٍ مَا عُرِضَ عَلَيْهِ وَوَضَعَ صَاحِبُ ٱلْمَحَلِّ عَلَى ظَهْرِ ٱلْحِمَارِ حِشْيَةً وَأَغْطِيَةً وَفَوْقَهَا عَرَبَةُ أَطْفَالٍ ... وَقَالَ لِعَمَّارٍ :

- سِرْ خَلْفِـي حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَنْزِلِـي ٱلْجَدِيدِ فِـي سَاحَةِ ٱلْبَطِّ .

فَٱتَّبَعَهُ عَمَّارٌ يَقُودُ حِمَارَهُ ... وَعِنْدَ أَحَدِ ٱلْمُنْعَطَفَاتِ فَكَّرَ فِـي أَنْ يَخْتَصِرَ ٱلطَّرِيقَ رِفْقًا بِحِمَارِهِ فَتَرَكَ صَاحِبَ ٱلْأَثَاثِ يَتَّجِهُ إِلَى ٱلْأَمَامِ وَٱنْعَطَفَ يَمِينًا يَشُقُّ ٱلْأَزِقَّةَ وَٱلْحَارَاتِ وَغَرَضُهُ ٱلْوُصُولُ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلْمَقْصُودِ فِـي أَيْسَرِ وَقْتٍ وَأَقَلِّ مَسَافَةٍ ... وَلَمَّا رَأَى حِمَارَهُ يَتَلَكَّأُ فِـي ٱلسَّيْرِ ظَنَّهُ قَدْ تَعِبَ فَرَأَفَ بِهِ وَأَنْزَلَ ٱلْحِمْلَ مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ أَرْكَبَهُ عَرَبَةَ ٱلْأَطْفَالِ وَوَضَعَ فَوْقَهُ ٱلْحِشْيَةَ وَٱلْأَغْطِيَةَ وَأَخَذَ يَجُرُّ ٱلْعَرَبَةَ وَيَجْرِي ... وَلَمْ يَطْوِ مَسَافَةً كَبِيرَةً حَتَّى تَنَاثَرَتِ ٱلْعَجَلَاتُ فِـي كُلِّ ٱتِّجَاهٍ وَدَخَلَتْ أَرْجُلُ ٱلْحِمَارِ فِـي سَطْحِ ٱلْعَرَبَةِ وَٱخْتَلَّ تَوَازُنُهُ فَسَقَطَ



أَمَامَ ٱلْعَرَبَةِ وَٱصْطَدَمَ بِظَهْرِ عَمَّارٍ فَأَوْقَعَهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ
وَتَبَعْثَرَتِ ٱلْأَمْتِعَةُ ... فَقَامَ عَمَّارٌ مِنْ سَقْطَتِهِ وَقَدْ شُجَّ
وَجْهُهُ وَأَخَذَ يُجَفِّفُ ٱلدَّمَ ٱلَّذِي سَالَ مِنْ جُرْحِهِ بِٱلْأَغْطِيَةِ
ٱلَّتِي تَعَفَّرَتْ بِالتُّرَابِ وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِصَاحِبِ
ٱلْمَتَاعِ يُقْبِلُ مُهَرْوِلاً ... وَلَمَّا شَاهَدَ مَا فَعَلَهُ عَمَّارٌ ثَارَتْ

ثَائِرَتُهُ وَمَسَكَ بِتَلاَبِيبِهِ وَأَحْكَمَ شَدَّ قَبْضَتِهِ عَلَيْهَا حَتَّى كَادَتْ تَخْتَنِقُ أَنْفَاسُ عَمَّارٍ ٱلَّذِي أَخَذَ يَسْتَرْحِمُ وَيَسْتَعْطِفُ وَٱلرَّجُلُ يَزِيدُ فِي صُرَاخِهِ وَيُضَاعِفُ مِنْ شَتْمِهِ لِعَمَّارٍ وَسَبِّهِ فَضَاعَ ٱسْتِرْحَامُ صَاحِبِ ٱلْحِمَارِ وَذَهَبَ كَأَنَّهُ صَرْخَةٌ فِي وَادٍ إِلَى أَنْ تَجَمَّعَ ٱلْمَارَّةُ عَلَى ٱلرَّجُلَيْنِ وَخَلَّصُوا عَمَّاراً مِمَّا وَقَعَ فِيهِ فَكَانَ كَمَنْ أُنْقِذَ مِنْ غَرَقٍ أَوْ أُحْيِيَ بَعْدَ مَوَاتٍ وَبِمُجَرَّدِ تَخَلُّصِهِ مِنْ قَبْضَةِ خَصْمِهِ قَفَزَ عَلَى ظَهْرِ حِمَارِهِ وَكَأَنَّمَا ٱلْحِمَارُ قَدْ فَهِمَ مَا يَدُورُ حَوْلَهُ فَٱنْطَلَقَ يَعْدُو لاَ يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَرَجَعَ عَمَّارٌ إِلَى مَنْزِلِهِ خَائِباً فَوَقَفَ أَمَامَهُ مُفَكِّراً فِي مَغَبَّةِ عَمَلِهِ وَفِيمَا سَتَلْقَاهُ بِهِ أُمُّهُ مِنْ تَقْرِيعٍ وَتَوْبِيخٍ وَرُبَّمَا رَفَضَتْ قَبُولَهُ وَنَفَّذَتْ وَعِيدَهَا لَهُ فَيُصْبِحُ مُشَرَّداً لاَ مَأْوَى لَهُ وَلاَ مَلْجَأَ ... وَطَرَقَ ٱلْبَابَ طَرَقَاتٍ خَافِتَةً ... فَفَتَحَتْ لَهُ أُمُّهُ وَلَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ مُلَطَّخاً بِالدِّمَاءِ فَزِعَتْ

وَتَحَرَّكَ حَنَانُهَا فَصَرَخَتْ :

ـ وَلَدِي !! مَاذَا أَصَابَكَ ؟! أَيُّ مُصِيبَةٍ دَاهَمَتْكَ وَأَسَالَتْ دَمَكَ ... لَهَفِـي عَلَى كَبِدِي ... إِلَيَّ يَا صَغِيرِي لاَ حُرِمْتُكَ ! ...

وَانْخَرَطَ عَمَّارٌ فِي بُكَاءٍ مَرِيرٍ تَفَتَّتَ لَهُ كَبِدُ ٱلْأُمِّ فَأَخَذَتْ تُهَدِّئُهُ مِنْ رَوْعِهِ وَتَغْسِلُ جِرَاحَهُ وَتُضَمِّدُهَا مُتَوَعِّدَةً ٱلْمُعْتَدِيَ عَلَى ٱبْنِهَا بِكُلِّ شَرٍّ ... ثُمَّ قَامَتْ وَأَحْضَرَتْ لِعَمَّارٍ غِذَاءَهُ فَأَكَلَ كَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعَامًا مُنْذُ أَيَّامٍ ... وَبَعْدَ أَنْ أَتَى عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَتْهُ لَهُ أُمُّهُ مِنْ أَكْلٍ تَجَشَّأَ وَٱسْتَرْخَى وَأَرَادَ ٱلنَّوْمَ... وَإِذَا بِأُمِّهِ تُقْبِلُ عَلَيْهِ وَتُبَادِرُهُ قَائِلَةً :

ـ وَٱلْآنَ بَعْدَ أَنْ شَبِعْتَ وَٱسْتَرَحْتَ أَلاَ تَقُصُّ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَهُ هَذَا ٱلصَّبَاحَ وَتُحَدِّثُنِـي عَنِ ٱلْأَسْبَابِ ٱلَّتِـي جَعَلَتْكَ عُرْضَةً لِهَذَا ٱلْإِعْتِدَاءِ ؟ ! ...

وَلَمَّا رَوَى لَهَا تَفَاصِيلَ مَا حَدَثَ تَحَوَّلَ حَنَانُهَا إِلَى غَضَبٍ وَٱنْهَالَتْ عَلَيْهِ تَقْرِيعًا وَتَأْنِيبًا فَتَضَرَّعَ إِلَيْهَا طَالِبًا ٱلصَّفْحَ وَٱلْمَغْفِرَةَ وَبَاتَا لَيْلَتَهُمَا عَلَى أَسْوَإِ حَالٍ مِنَ ٱلنَّكَدِ ... وَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلصَّبَاحُ أَيْقَظَتِ ٱلْأُمُّ عَمَّاراً وَسَلَّمَتْ لَهُ رَغِيفًا وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَلْتَحِقَ بِمَزْرَعَةِ جَارِهِمَا «ٱلحَاجِّ مُصْطَفَى» ٱلَّذِي كَانَتْ قَدْ خَاطَبَتْهُ فِي شَأْنِهِ وَٱرْتَضَى بِأَنْ يُلْحِقَهُ بِالْعَمَلِ عِنْدَهُ ... وَذَهَبَ عَمَّارٌ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى ٱلْمَزْرَعَةِ وَتَسَلَّمَ عَمَلَهُ ، وَفِي ٱلْمَسَاءِ نَقَدَهُ ٱلحَاجُّ مُصْطَفَى رِيَالاً فَشَكَرَهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَرِحًا لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ بِأَنَّهُ تَحَصَّلَ بِكَدِّ يَمِينِهِ عَلَى هَذَا ٱلْمَبْلَغِ ٱلَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ نَالَ مِثْلَهُ ؛ وَٱنْطَلَقَ يَسِيرُ بِخُيَلَاءَ مَزْهُوًّا يُقَلِّبُ ٱلرِّيَالَ وَيَقْذِفُهُ إِلَى أَعْلَى ثُمَّ يَعُودُ فَيَتَلَقَّاهُ



بِكَفِّهِ إِلَى أَنِ ٱنْفَلَتَ مِنْهُ ، وَتَدَحْرَجَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱسْتَقَرَّ فِـي إِحْدَى بَالُوعَاتِ ٱلْمَجَارِي فَأَخَذَ عَمَّارٌ يُطِلُّ عَلَيْهِ مِنْ شُقُوقِ ٱلْبَالُوعَةِ عَسَاهُ يَرَاهُ أَوْ يَجِدُ وَسِيلَةً لِإِخْرَاجِهِ وَلَكِنَّهُ بَعْدَ طُولِ تَأَمُّلٍ لَمْ يَعْثِرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ … فَقَامَ حَزِينًا كَسِيرَ ٱلْخَاطِرِ دَامِعَ ٱلْعَيْنَيْنِ يَجُرُّ قَدَمَيْهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى طَرْقِ ٱلْبَابِ وَجَلَسَ ٱلْقُرْفُصَاءَ أَمَامَهُ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَيْهِ … وَطَالَ ٱنْتِظَارُ ٱلْأُمِّ لِوَلَدِهَا وَٱشْتَدَّ قَلَقُهَا عَلَيْهِ … وَعِنْدَمَا خَيَّمَ ٱلظَّلَامُ عَزَمَتْ عَلَى ٱلْخُرُوجِ لِلْبَحْثِ عَنْهُ وَلَمَّا فَتَحَتْ بَابَ ٱلْمَنْزِلِ إِذَا بِعَمَّارٍ يَنْطَرِحُ عَلَى ٱلْأَرْضِ بَيْنَ رِجْلَيْهَا مُسْتَلْقِيًا عَلَى ظَهْرِهِ … فَارْتَاعَتِ ٱلْأُمُّ لِرُؤْيَتِهِ وَظَنَّتْهُ أَحَدَ ٱللُّصُوصِ يُدَاهِمُ مَنْزِلَهَا … فَصَرَخَتْ مُسْتَنْجِدَةً فَأَسْرَعَ عَمَّارٌ يُطَمْئِنُهَا وَلَمَّا أَدْرَكَتْ أَنَّهُ ٱبْنُهَا جَذَبَتْهُ إِلَى ٱلسَّقِيفَةِ وَأَغْلَقَتِ ٱلْبَابَ ثُمَّ تَحَوَّلَتْ إِلَيْهِ صَارِخَةً فِـي وَجْهِهِ مُسْتَفْسِرَةً عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ وَمُكُوثِهِ خَارِجَ ٱلْمَنْزِلِ وَلَمَّا أَخْبَرَهَا بِمَا حَصَلَ لَهُ أَخَذَتْ تَضْرِبُهُ وَهُوَ يَسْتَغِيثُ وَيَطْلُبُ ٱلصَّفْحَ وَيَعِدُهَا بِعَدَمِ ٱلتَّفْرِيطِ فِـي مَا يَتَحَصَّلُ



عَلَيْهِ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ فَهَدَأَ غَضَبُ ٱلأُمِّ وَطَلَبَتْ مِنْ ٱبْنِهَا أَنْ يُحَافِظَ عَلَى كُلِّ مَا يَمْنَحُهُ لَهُ ٱلْحَاجُّ مُصْطَفَى وَأَنْ يَضَعَهُ فِي كَفِّهِ وَيُطْبِقَ عَلَيْهِ أَصَابِعَهُ وَلَا يَفْتَحَهَا أَبَداً حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا فَوَعَدَهَا بِٱلطَّاعَةِ وَبِتَنْفِيذِ وَصِيَّتِهَا ...

وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلْمُوَالِي ذَهَبَ عَمَّارٌ إِلَى عَمَلِهِ وَقَضَى يَوْمَهُ وَهُوَ يَشْتَغِلُ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ مِمَّا جَعَلَ ٱلْحَاجَّ مُصْطَفَى يُكَافِئُهُ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ بِدَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ فَتَسَلَّمَهَا مِنْهُ وَلِسَانُهُ يَلْهَجُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَٱلدُّعَاءِ لَهُ ... وَطِبْقًا لِوَصِيَّةِ وَالِدَتِهِ مَسَكَ ٱلدَّجَاجَةَ مِنْ رِجْلَيْهَا وَشَدَّدَ قَبْضَتَهُ عَلَيْهِمَا حَتَّى آلَمَهَا ... فَتَخَبَّطَتِ ٱلدَّجَاجَةُ وَحَاوَلَتِ ٱلْخَلَاصَ فَقَاوَمَهَا عَمَّارٌ بِمُضَاعَفَةِ ٱلضَّغْطِ عَلَى رِجْلَيْهَا فَلَمْ تَحْتَمِلِ ٱلدَّجَاجَةُ ذَلِكَ وَعَمَدَتْ إِلَى نَقْرِ يَدِهِ حَتَّى أَدْمَتْهَا ... فَغَضِبَ عَمَّارٌ ... وَخَافَ أَنْ تَضِيعَ مِنْهُ كَمَا ضَاعَ ٱلرِّيَالُ ... فَحَوَّلَ وَضْعَهَا فِي يَدِهِ وَأَطْبَقَ كَفَّهُ عَلَى عُنُقِهَا فَٱخْتَنَقَتْ أَنْفَاسُهَا وَجَعَلَتْ تَهْتَزُّ فِي يَدِهِ ... وَكُلَّمَا شَعُرَ بِذَلِكَ زَادَ فِي إِحْكَامِ شَدِّهَا ... وَمَا أَنْ وَصَلَ إِلَى ٱلدَّارِ حَتَّى دَفَعَ بِٱلدَّجَاجَةِ إِلَى أُمِّهِ قَائِلاً :



– خُذِي هَذِهِ ٱلدَّجَاجَةَ! ... وَلْيَكُنْ عَشَاؤُنَا ٱللَّيْلَةَ مِنْهَا !!!

فَتَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ ٱلْأُمِّ لِمَرْأَى ٱلدَّجَاجَةِ فِي يَدِ ٱبْنِهَا وَلَكِنَّهَا لَمَّا تَنَاوَلَتْهَا وَلَمْ تَجِدْ بِهَا حَرَاكًا خَاطَبَتْهُ قَائِلَةً :

– أَ تُرِيدُ أَنْ نَتَعَشَّى ٱلْجِيفَةَ يَا خَائِبُ ؟ ! !

فَٱنْزَعَجَ عَمَّارٌ لِقَوْلِ أُمِّهِ وَبَادَرَ إِلَى ٱلدَّجَاجَةِ يَتَفَحَّصُهَا ... وَلَمَّا وَجَدَهَا جُثَّةً هَامِدَةً ٱنْقَلَبَ حَمَاسُهُ ذُلًّا وَتَعَاسَةً فَأَرَادَ أَنْ يَنْسَلَّ إِلَى غُرْفَتِهِ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ أُمِّهِ ... وَلَكِنَّ وَالِدَتَهُ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ ٱلْمَجَالَ لِذَلِكَ بَلْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ نَاشِبَةً أَظَافِرَهَا فِـي ثِيَابِهِ وَأَخَذَتْ تَدْفَعُ بِهِ أَمَامَهَا إِلَى أَنْ أَوْصَلَتْهُ إِلَى بَابِ ٱلْمَنْزِلِ فَفَتَحَتْهُ وَأَلْقَتْ بِهِ خَارِجَهُ مُتَوَعِّدَةً إِيَّاهُ بِكُلِّ شَرٍّ إِنْ هُوَ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ ٱلْيَوْمِ !

فَسَارَ عَمَّارٌ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَتَّجِهُ وَلَا أَيْنَ يَقْضِـي لَيْلَتَهُ ... وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَسَكَّعُ فِـي طُرُقَاتِ ٱلْمَدِينَةِ وَٱلْحَيْرَةُ تَغْمُرُ وَجْهَهُ وَٱلدُّمُوعُ تُبَلِّلُ خَدَّيْهِ إِذِ ٱسْتَوْقَفَهُ رَجُلٌ طَوِيلُ ٱلْقَامَةِ عَرِيضُ ٱلْكَتِفَيْنِ



كَالِحُ ٱلسَّحْنَةِ ... فَأَوْجَسَ عَمَّارٌ مِنْهُ خِيفَةً وَلَكِنَّ ٱلرَّجُلَ بَادَرَهُ بِٱلتَّحِيَّةِ وَٱلسُّؤَالِ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ وَحَيْرَتِهِ ... وَعَرَضَ عَلَيْهِ إِعَانَةً سَخِيَّةً تَتَمَثَّلُ فِـي إِيوَائِهِ وَإِطْعَامِهِ عَلَى أَنْ يُسَاعِدَهُ عَمَّارٌ فِـي عَمَلِهِ ٱلَّذِي يُبَاشِرُهُ مَعَ شُرَكَائِهِ ٱلْعَدِيدِينَ ... فَرَأَى عَمَّارٌ فِـي هَذَا ٱلرَّجُلِ ٱلْمَلاكَ ٱلْمُنْقِذَ وَزَالَتْ خَشْيَتُهُ مِنْهُ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَشَكَرَهُ شُكْراً حَارًّا وَدَعَا لَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ ... فَٱصْطَحَبَ ٱلرَّجُلُ عَمَّاراً إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدَّمَ لَهُ أَكْلاً شَهِيًّا وَفِرَاشًا وَثِيراً ... فَبَاتَ عَمَّارٌ لَيْلَتَهُ وَهُوَ يَحْلُمُ أَحْلاَمًا سَعِيدَةً وَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلصَّبَاحُ خَرَجَا مِنَ ٱلْمَنْزِلِ فَتَجَوَّلاَ فِي بَعْضِ شَوَارِعِ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ وَصَلاَ إِلَى قَصْرِ ٱلسُّلْطَانِ ... فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ يَدُورُ حَوْلَهُ وَيَتَوَقَّفُ مِنْ حِينٍ لآخَرَ أَمَامَ نَوَاحِـي مُعَيَّنَةٍ مِنَ ٱلسُّورِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا نِظْرَةَ ٱلْفَاحِصِ ٱلْخَبِيرِ وَعَمَّارٌ يَتْبَعُهُ كَظِلِّهِ ... وَيُحَمْلِقُ فِيهِ وَفِي مَا يَتَأَمَّلُهُ مِنْ مَشَارِفِ ٱلسُّورِ ... وَعِنْدَمَا أَطَلَّ عَلَيْهِمَا أَحَدُ حُرَّاسِ ٱلْقَصْرِ مَسَكَ ٱلرَّجُلُ بِيَدِ عَمَّارٍ وَجَذَبَهُ سَالِكاً بِهِ طَرِيقاً يَتَفَرَّعُ عَنْ ٱلْمَسْلَكِ ٱلْمُحِيطِ بِٱلْقَصْرِ وَيُؤَدِّي إِلَى خَارِجِ ٱلْمَدِينَةِ ...

كُلُّ ذَلِكَ وعَمَّارٌ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئاً مِمَّا يَدُورُ حَوْلَهُ ... وَلَمَّا وَصَلاَ إِلَى أَحَدِ أَبْوَابِ ٱلْمَدِينَةِ ٱجْتَازَاهُ وَخَرَجَا مِنْهُ مُتَّجِهَيْنِ نَحْوَ جَبَلٍ يَظْهَرُ بَعِيداً بِنَحْوِ بِضْعَةِ أَمْيَالٍ وَيَقُومُ شَامِخاً كَأَنَّهُ عِمْلاَقٌ يَتَوَلَّى حِرَاسَةَ مَا بِدَاخِلِ ٱلسُّورِ ... وَلَمَّا أَشْرَفَا عَلَى ٱلْجَبَلِ صَعَّدَا فِـي دُرُوبِهِ ٱلْمُتَشَعِّبَةِ ٱلْمُلْتَوِيَةِ ... وكَانَ عَمَّارٌ يَلْهَثُ وَٱلْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَرِّ ... وَلَمْ يَسْتَطِعْ صَبْراً عَلَى هَذَا ٱلْعَنَاءِ فَخَاطَبَ صَاحِبَهُ قَائِلاً :

– هَلْ سَنَقْضِـي يَوْمَنَا فِـي ٱلسَّيْرِ ؟ ! ... إِنَّ قَدَمَـيَّ لَمْ تَعُودَا قَادِرَتَيْنِ عَلَى حَمْلِـي !!!

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ :

– صَبْراً ! ... لَمْ يَبْقَ إِلاَّ ٱلْقَلِيلُ وَسَتَتَمَتَّعُ بِالرَّاحَةِ ... فَسَتَأْوِي إِلَى مَكَانٍ ظَلِيلٍ تَجِدُ فِيهِ شِبَعاً وَرِيّاً وَأَصْدِقَاءَ طَيِّبِينَ يَفْرَحُونَ بِكَ وَيُكْرِمُونَكَ ! ...

فَسَكَتَ عَمَّارٌ مَغْلُوباً عَلَى أَمْرِهِ ؛ وَلَمْ يَطُلْ بِهِمَا ٱلسَّيْرُ حَتَّى بَصُرَا رَجُلاً يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا وَيُحَيِّـي رَفِيقَ عَمَّارٍ تَحِيَّةَ خَادِمٍ لِمَخْدُومِهِ ... فَقَالَ عَمَّارٌ فِـي نَفْسِهِ :

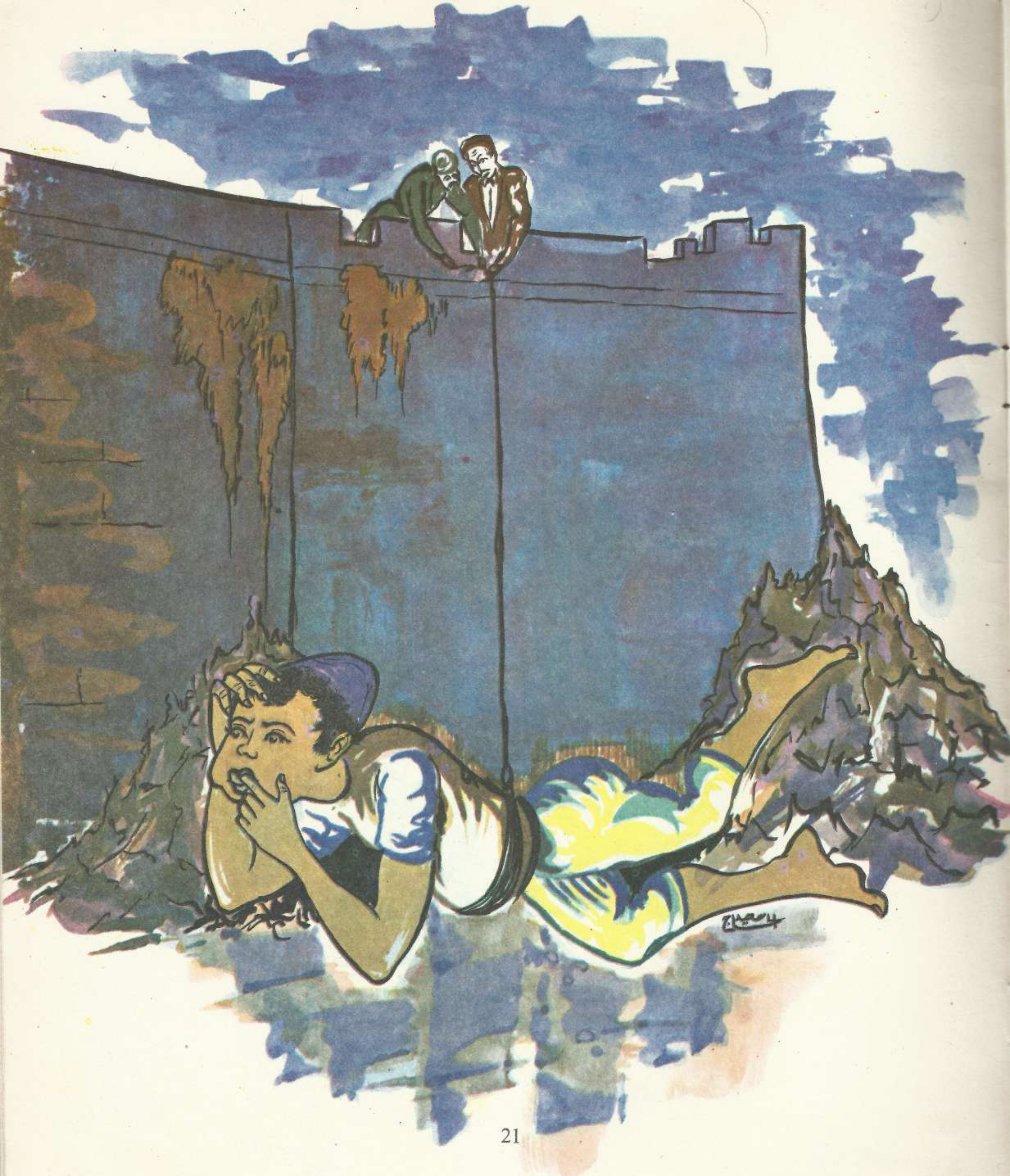
«لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ صَاحِبِي مِنْ ٱلْأَثْرِيَاءِ أَوْ أَكَابِرِ ٱلْقَوْمِ ثُمَّ وَاصَلَ جَمِيعُهُمْ ٱلسَّيْرَ حَتَّى ٱنْتَهَى بِهِمْ إِلَى كَهْفٍ يَقَعُ تَحْتَ أَكَمَةٍ مِنَ أَكَمَاتِ ٱلْجَبَلِ ، فَأَبْصَرَ عَمَّارٌ بِضْعَةَ رِجَالٍ جَالِسِينَ أَمَامَهُ وَإِذْ رَأَوْهُمْ وَقَفُوا وَشَرَعُوا يُحَيُّونَ صَاحِبَ عَمَّارٍ تَحِيَّةَ إِكْبَارٍ مُرَدِّدِينَ «مَرْحَباً بِالرَّئِيسِ وَبِضَيْفِهِ !» مِمَّا زَادَ فِي يَقِينِ عَمَّارٍ بِأَنَّ صَاحِبَهُ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ عُظَمَاءِ ٱلرِّجَالِ ! ... وَبَعْدَ أَنْ جَلَسَ ٱلْجَمِيعُ فِي شِبْهِ حَلَقَةٍ تَوَسَّطَهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْقَادِمُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ أَخَذَ هَذَا يُعَرِّفُ أَصْحَابَهُ بِعَمَّارٍ وَيُقَدِّمُهُمْ لَهُ فَرْداً فَرْداً ثُمَّ قُدِّمَ ٱلطَّعَامُ وَأُدِيرَتْ كُؤُوسُ ٱلشَّايِ ... وَبَعْدَهَا ٱخْتَلَى ٱلرَّئِيسُ فِي ٱلْكَهْفِ بِنَفَرَيْنِ مِنْ أَتْبَاعِهِ ثُمَّ نَادَى عَمَّاراً ٱلَّذِي كَانَ مُضْطَجِعاً أَمَامَ ٱلْكَهْفِ ... وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ خَاطَبَهُ ٱلرَّئِيسُ بِقَوْلِهِ :

– فِي هَذَا ٱلْمَسَاءِ ، سَتَذْهَبُ صُحْبَةَ هَذَيْنِ ٱلرَّفِيقَيْنِ وَتُنَفِّذُ جَمِيعَ مَا يَأْمُرَانِكَ بِهِ ... لِأَنَّ عَمَلَكَ مَعَنَا قِوَامُهُ ٱلطَّاعَةُ وَحُسْنُ ٱلاِنْقِيَادِ !! ...

وَلَمْ يَجْرُؤْ عَمَّارٌ عَلَى أَنْ يَقُولَ شَيْئاً سِوَى هَزِّ رَأْسِهِ بِٱلْمُوَافَقَةِ عَلَى مَا قَالَ ٱلرَّئِيسُ .

وَلَمَّا ٱدْلَهَمَّ ٱللَّيْلُ أَقْبَلَ ٱلرَّجُلاَنِ عَلَى عَمَّارٍ وَطَلَبَا مِنْهُ مُرَافَقَتَهُمَا ... فَسَارَ خَلْفَهُمَا تَتَعَثَّرُ قَدَمَاهُ كُلَّمَا ٱصْطَدَمَتَا بِحِجَارَةِ ٱلْجَبَلِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى ٱلسَّفْحِ فَسَلَكُوا ٱلطَّرِيقَ ٱلْمُؤَدِّيَ لِلْمَدِينَةِ ... وَأَثْنَاءَ ٱلسَّيْرِ سَمِعَ عَمَّارٌ أَحَدَ رَفِيقَيْهِ يَسْأَلُ ٱلْآخَرَ عَمَّا إِذَا أَحْضَرَ مَعَهُ مِفْتَاحَ بَيْتِ ٱلرَّئِيسِ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ ٱلآخَرُ بِالإِيجَابِ مُعَلِّقاً عَلَى سُؤَالِهِ بِقَوْلِهِ «إِنْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَأَيْنَ سَنَقْضِي بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا» وَمَا لَبِثُوا حَتَّى كَانُوا أَمَامَ بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَسَبَقَهُمْ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي سَأَلَ عَنِ ٱلْمِفْتَاحِ وَطَرَقَ ثَلاَثَ طَرَقَاتٍ أَجَابَهُ بَعْدَهَا صَوْتٌ مِنَ ٱلدَّاخِلِ سَائِلاً : «مَنِ ٱلطَّارِقُ ؟» فَرَدَّ ٱلرَّجُلُ قَائِلاً : «دَلاَّلُ ٱلسُّوقِ» ! ... فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَفِيقَهُ ٱلْقَرِيبَ مِنْهُ : «هَلْ صَاحِبُنَا يَشْتَغِلُ دَلاَّلاً ؟ !» فَأَجَابَهُ بِأَنَّهَا كَلِمَةُ ٱلسِّرِّ ٱلَّتِي لاَ تُفْتَحُ أَبْوَابُ ٱلْمَدِينَةِ لَيْلاً إِلاَّ لِمَنْ يَعْرِفُهَا وَفُتِحَ بَابُ ٱلْمَدِينَةِ ... فَسَكَتَ ٱلْجَمِيعُ وَدَخَلُوا ثُمَّ قَصَدُوا بَيْتَ رَئِيسِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنْهُ كِيساً لَمْ يَتَبَيَّنْ عَمَّارٌ مَا يَحْتَوِيهِ ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى قَصْرِ ٱلسُّلْطَانِ ... فَسَارُوا قَلِيلاً بِحِذَاءِ ٱلسُّورِ ، وَتَحْتَ بَعْضِ شُرُفَاتِهِ أَخْرَجَ حَامِلُ ٱلْكِيسِ حَبْلاً فِي آخِرِهِ

خُطَّافٌ قَذَفَهُ إِلَى أَعْلَى ٱلسُّورِ فَتَعَلَّقَ بِهِ وبَقِــيَ ٱلْحَبْلُ مُتَدَلِّياً مِنْهُ ثُمَّ أَخرَجَ ٱلرَّجُلُ ٱلثَّانِــي مِنَ ٱلْكِيسِ مَجْمُوعَةً مِنَ ٱلْمَفَاتِيحِ وَأَدوَاتٍ أُخرَى وتَعَلَّقَ بِالْحَبْلِ وجَعَلَ يَتَسَلَّقُ ٱلسُّورَ ولَمَّا ٱعْتَلاهُ نَظَرَ يَمِيناً وشِمَالاً ثُمَّ هَمَسَ إِلَى عَمَّارٍ أَنْ يَلْتَحِقَ بِهِ فَقَالَ هَذَا : «لِمَاذَا لاَ نَدْخُلُ مِنَ ٱلْبَابِ ؟ ! وَنَتَخَلَّى عَنْ هَذِهِ ٱلْمَشَقَّةِ ؟ !» فَانْتَهَرَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلثَّانِــي وَدَفَعَهُ إِلَى ٱلْحَبْلِ ولَمَّا تَسَلَّقَ بَعْضَهُ خَانَتْهُ ذِرَاعَاهُ فَسَقَطَ فَتَلَقَّفَهُ رَفِيقُهُ ورَبَطَ ٱلْحَبْلَ بِوَسَطِهِ وتَرَكَهُ عَلَى ٱلأَرْضِ ثُمَّ تَسَلَّقَ ٱلسُّورَ بِخِفَّةِ ٱلْقِطِّ مُلْتَحِقاً بِصَاحِبِهِ وبَعْدَهَا أَخَذَ ٱلرَّجُلاَنِ يَجْذِبَانِ ٱلْحَبْلَ وَعَمَّارٌ يَتَأَرْجَحُ فِــي ٱلْفَضَاءِ ولَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا أَدْلَيَا بِهِ إِلَى ٱلْجَانِبِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلسُّورِ وتَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ حِينَمَا لاَمَسَتْ قَدَمَاهُ ٱلأَرْضَ ... ثُمَّ نَزَلَ ٱلرَّجُلاَنِ إِلَى دَاخِلِ ٱلسُّورِ وبِحَرَكَةٍ خَاصَّةٍ مِنْ يَدِ أَحَدِهِمَا ٱقْتُلِعَ خُطَّافُ ٱلْحَبْلِ مِنَ ٱلسُّورِ وسَارُوا بِحَذَرٍ يَشُقُّونَ طَرِيقَهُمْ فِــي ٱلظَّلاَمِ ... وتَقَدَّمَهُمْ حَامِلُ ٱلْمَفَاتِيحِ إِلَى أَحَدِ أَبْوَابِ ٱلْقَصْرِ فَعَالَجَهُ بِبَعْضِ أَدوَاتِهِ وإِذَا بِهِ يَنْفَتِحُ أَمَامَهُمْ



فدلفوا إليه ... وكان حامل المفاتيح يتقدم رفيقيه كأنما يعرف الهدف الذي يريد الوصول إليه ... وفعلاً فقد وصل إلى هدفه الذي لم يكن غير خزينة السلطان الحديدية القائمة كالطود في صدر إحدى غرف القصر فوقف أمامها يحاول فتحها ... وطالت محاولته ... وأخيراً طاوعته أقفالها وانفتحت أمامه فبهر ما بها من ذهب وجواهر أعينهم .

أما عمار فقد كان يتتبع كل تلك الحركات ساكناً يحملق من حين لآخر في الغرفة الواسعة بينما شرع صاحباه يفرغان ما بالخزينة في ثلاثة أكياس ... وحمل كل من الرجلين كيساً على ظهره ثم طلبا إلى عمار أن يحمل الثالث ... وهنا كان عقل عمار يفكر بسرعة ... وانتهى به تفكيره إلى خطورة الوضع الذي هو فيه ... واستعرض ما مر به في حياته من تجارب قاسية ... وتمثل في خاطره وصايا أمه له ... فقال في نفسه : «إن هذه هي فرصتك يا عمار لتصبح رجلاً ككل الرجال لكي لا تخدع ولا تستغل ... فرفض حمل الكيس بإصرار مما أثار غضب الرجلين

وَحَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى تَسْدِيدِ لَكْمَةٍ لِعَمَّارٍ فِـي فَكِّهِ آلَمَتْهُ فَأَطْلَقَ صَرْخَةً دَوَّتْ فِـي أَنْحَاءِ ٱلْقَصْرِ أَفَاقَ عَلَيْهَا ٱلْحَرَسُ ... وَفِـي لَمْحِ ٱلْبَصَرِ كَانَتِ ٱلْغُرْفَةُ قَدِ ٱمْتَلأَتْ بِحُرَّاسٍ أَشِدَّاءَ مُدَجَّجِينَ بِالسِّلاَحِ قَطَعُوا طَرِيقَ ٱلْهُرُوبِ عَلَى ٱللِّصَّيْنِ وَقَادُوا ٱلْجَمِيعَ إِلَى سِجْنِ ٱلْقَصْرِ فَقَضَوْاْ فِيهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمْ ... وَفِـي ٱلصَّبَاحِ مَثُلُوا أَمَامَ ٱلسُّلْطَانِ ٱلَّذِي أَخَذَ يَسْتَجْوِبُهُمْ فَرْداً فَرْداً إِلَى أَنْ جَاءَ دَوْرُ عَمَّارٍ فَرَوَى قِصَّةَ حَيَاتِهِ كَامِلَةً أَدْرَكَ بَعْدَهَا ٱلسُّلْطَانُ سَلاَمَةَ طَوِيَّةِ عَمَّارٍ وَنَزَاهَتَهُ... فَكَافَأَهُ عَلَى ذَلِكَ بِإِلْحَاقِهِ بِخِدْمَتِهِ وَسَلَّمَهُ جَائِزَةً مَالِيَةً وَعَادَ إِلَى أُمِّهِ ... وَمَا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا حَتَّى بَادَرَتْهُ قَائِلَةً :

ـ مَا ٱلَّذِي عَادَ بِكَ يَا خَائِبُ ؟ ! أَلَمْ أُحَرِّمْ عَلَيْكَ دُخُولَ ٱلْمَنْزِلِ ثَانِيَةً ؟ !

فَأَخَذَ عَمَّارٌ يَسْتَعْطِفُهَا وَيُقَبِّلُ يَدَيْهَا وَهِيَ تَدْفَعُهُ عَنْهَا قَائِلَةً :

ـ لَسْتُ أُمَّكَ مَا لَمْ تَتَخَلَّ عَنْ حُمْقِكَ وَغَبَاوَتِكَ ! !

وَلَمَّا رَوَى لَهَا مَا حَدَثَ لَهُ مَعَ ٱللُّصُوصِ وَكَيْفَ أَنَّهُ أَصْبَحَ مِنْ أَتْبَاعِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلعَامِلِينَ فِـي قَصْرِهِ لَمْ



تُصَدِّقْهُ وَظَنَّتْ أَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهَا لِيَنَالَ رِضَاهَا ... وَلَكِنَّهَا لَمَّا رَأَتِ ٱلدَّنَانِيرَ ٱلذَّهَبِيَّةَ فِي ٱلْكِيسِ زَالَتْ رِيبَتُهَا وَصَدَّقَتْهُ فِي كُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخَذَتْ تُعَانِقُهُ وَتُقَبِّلُهُ قَائِلَةً :

«إِنَّنِي أُمُّكَ وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ رَجُلاً كَامِلاً أَفْتَخِرُ بِكَ وَأَطْمَئِنُّ عَلَى مُسْتَقْبَلِكَ وَأَفْرَحُ بِكَ كَمَا تَفْرَحُ ٱلْأُمَّهَاتُ بِأَوْلَادِهِنَّ» .

مجموعة قصص الأطفال

الصّادرة في حجم 21 × 27

العصفور والملك
الفارس الصغير
قطي سوسو
النمر والسلحفاة
الأميرة عطاف
قاهر الذئاب
طرزان وشيطا
ضياء القمر
سر النجاح
فويلتي
عمي سعيد السنفاج
أبو سنام
أمي سيسي
مغامرات بنت دنو
ابتسام ثريا
طيور وزهور

قميحة
أضغاث أحلام
العصفور الجريح
عمار صاحب الحمار
المعزة المعزوزية
الفراشة الراقصة
الأسد والبعوضة
حب الكدر
عمي الدحداح بياع التفاح
الديك والماعز والكبش والحمار
مستحضر الجنية
الوسام
الحصان الوفي
صراع في الحقول
من أدوار جحا
الصياد الصغير

الأرنب العنيد
انتقام الأرنب
الأمير فيروز
بنت صياد السمك
الزوجة المطيعة
ابن الأرض في السماء
العصفور الأخضر
حكايات جدتي
الجار الحسود
أغاني الطفولة
الطفل والفراشة الذهبية
الأهازيج (شعر للتلاميذ)
عليسة (مسرحية شعرية)
حمار جكتيس

الرقم الأصطلاحي 1020 ـ سحب من هذا الكتاب 5.000 نسخة ـ الطبعة الاولى
ديسمبر 1988 ـ ر.د.م.ك.: 4 ـ 054 ـ 11 ـ 9973

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج ـ تونس

الثمن : 1.000 د. ت
أو ما يعادله